

باب المراسلة والمناظرة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين ﴾^(*)

١

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله محمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا آله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله (ص) وأنه بلغ الرسالة وادى الأمانة صلى الله عليه وعلى آله واصحابه واتباعه الى يوم الدين

أما بعد فاني قد وقفت على الكلمات التي كتبها في الرد عليّ حضرة العلامة والمفضل الفهامة الدكتور محمد توفيق صدقي وقفنا الله وإياه للهداية والتوفيق آمين وحيث إنني رأيت لم يأت بدليل جديد وإنما كرر كتابة ما قد بينت للقارئ فسادها في رسالتي السابقة أردت اختيار السكوت وان أفوض الى قراء المنار وغيرهم من علماء الاسلام تولى ترجيح أحد القولين والحكم بتخطئة أحد الخصمين بعد الفحص عن أدلة الطرفين. ولكن ألح علي في كتابة جواب الجواب من يهز علي من أهل البيت الاطهار نخبة الاخيار سيدي احمد بن حسين العطاس باعلوي سلمه الله وحفظه وكذلك كثير من حزب الله المفلحين المصلحين الصادقين محبي المنار الأغر فاخترت الله واستعنته على كتابة هذه الجملة المختصرة لأني اخانا الفاضل علي أن ما كتبه في

(*) جاءتنا هذه الرسالة من الشيخ صالح اليافعي رد بها على الدكتور محمد توفيق صدقي ثانية فأثبتناها على طولها ليأخذ الموضوع حقه من البحث فإنه من أهم المسائل الدينية في هذا العصر

١٢٦ شبهات الكفار على النسخ في القرآن (المباحث ٢٢ م ١٢)

هذا الرد هو نفس ما كتبه سابقا مما قد بينا والله الحمد خطاه وايضا هو لم يبطل شيئا مما كتبناه في رده لا بنص قولي ولا بدليل عقلي

واما ما ذكر من شبهات غير المسلمين فهي ممالا قيمة لها اذا عرضها الفاحصون على معيار التحقيق وغاية محصلها أن تكون من اصنف الشبهات التي ربما تعرض وتعلق بنجالات غير الواقفين على حقيقة دين الاسلام - وما أنا ذا أقدم للواقفين بيان قيمة كل شبهة اوردتها العلامة المدوح عنهم ووجه دلائلها ثم اتبع ذلك بردها وأتمس من حضرة سيدنا شيخ الاسلام ومرشد الانام مولانا السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار أن يصلح ما فيها من القصور والخطال وان ينبه أحدنا على زلته ، ويدله على محل عثرته، ولولا أن بذل النصيحة في الدين واجب لم اكتب ولا حرفا واحدا ولكن امثالا لقوله صلى الله عليه وسلم «تناصحووا في العلم فان خيانة أحدكم في علمه أشد من خيائه في ماله وان الله مسائلكم» والنشرع في المقصود بعون الجواد المعبود فاقول: قال العلامة الفاضل سلمه الله ووفقنا وإياه للسواب «الكلمة الاولى في تقرير بعض شبهات غير المسلمين على مسألة النسخ في القرآن» الى آخر ما نقل عنهم وحاصله أنهم اعترضوا على صحة دين الاسلام ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بوجود النسخ الذي يسلمه المسلمون في القرآن لانه أي النسخ لا يكون الا اذا كان المنسوخ ناقصا ومعييا إما في مغزاه أي غاياته أو معناه أي مدلول لفظه أو بلاغته الخجل باعجازه أو ان الحكم لا يرضاه الناس أو أنه لا ينفعهم أو انه قد يضر بمصلحتهم

فمحصل ما ذكره ان النسخ لا يكون الا لذلك وكأنهم يريدون ان صدور ذلك من الرب واجب الوجود محال واستنتجوا من ذلك استحالة أن يكون دين الاسلام منزلا من الرب أي لوقوع ذلك فيه واعتذروا عن قبول العقلاء لذلك بأن سببه كمال محمد (ص) في الدهاء والتحليل بحيث صار يلعب بمقول اصحابه وذكر عنهم ما ملخصه وحاصله ان محمدا (ص) لم يتم له ما أراد من التشريع الا بعد اصلاح ما وقع في دينه من العيب والنقص وابدال ما اتقده عليه المنتقدون أو عارضه المعارضون أو عرف انه يكون كذلك ولو بعد حين ولذلك تعلق بدهائه الى اخفاء عيبه وعيب دينه بتجويز وترويج مسألة النسخ في قرآنه ونقل عنهم انهم قالوا وقد ضاع بسبب ذلك مما أتى به

(المارج ١٢ م ١٢) القول بالنسخ خير من الحاجة الى التأويل ١٢٧

من القرآن آيات كثيرة جاء ذكرها في أحاديث المسلمين وكأنهم يريدون بذلك انه كما انه يستحيل بزعمهم ان يكون القرآن منزلا من الله فهو أيضا غير محفوظ ولم ينقل اليها كله. ودعوى المسلمين ان ذلك مما نسخ الله لفظه نحكم غير مقبول، اذ لم يقدر المسلمون على تليل ذلك بجملة معقولة - وقيل عنهم أيضا انهم يزعمون ان ما بقي من القرآن في أحكامه شطط وان عباراته متناقضة مخنفة - وذكروا عنهم اعتراضا على بعض أجوبة المسلمين التي ذكرناها في رسالتنا السابقة لتسويغ نسخ لفظ القرآن حيث قلنا ما أدى وظيفته لا يلزم بقاءه فقل عنهم في معارضة ذلك ان القرآن مشتمل على مسائل خاصة بمحمد (ص) وأهل بيته ولا فائدة منها لأحد سواه قال فاذا صحح عند المسلمين نسخ الفاظ الآيات التي أدت وظيفتها وانقضت زمنها فلماذا لم تنسخ الفاظ مثل هذه الآيات الواردة في حالات خاصة وفي وقائع خاصة وقد أدت وظيفتها وانقضت زمنها وما حكمة آية الرجم مثلا مع بقاء حكمها في شريعة المسلمين !! انتهى

أقول والكلام على ما أورده عنهم من وجوه

(احدها) ان قول ان بعض هذه الشبهات كقولهم وما بقي من القرآن بعد هذا التصحيح والتفحيح نجد شططا في كثير من أحكامها فضلا عما في عباراته من المتناقضات والاختلافات الى آخره لا ترد علينا ولا على من يقول ان القرآن الموجود فيه ناسخ ومنسوخ وانما ترد على خصوص مذهب الدكتور وهو لا ينفصل عن هذه الإيرادات ولا يستقيم مذهبه الا اذا سلك مسلك التأويل المناقض لظاهر الدلالات في هذه المواضع ، والتأويل اذا صار لا يصح الا بحيث يكون المعنى المؤول اليه انما يدل عليه بالفاظ غير ما عبر الله به عنه فهو يكون لا محالة من باب التبديل والتعريف للذين ذم الله أهلها ونهى عنهم وكما ان مثل هذا التأويل مردود عند أهل الحق من المسلمين وغير المسلمين أيضا لا يقتنعون به وهو أعظم منفر لم عن الاسلام ، لجواز ان يعتقدوا ان ذلك لإصلاح خلل وتكميل نقص في القرآن والدين - فاعتراضاتهم السابقة على النسخ هي واردة على مثل هذا التأويل وقبولهم تكذيب ما نقله المسلمون فيما تقدم ضرب من المحال ،

اما نحن القائلون بجواز النسخ في الأديان ووقوعه في القرآن فلا ترد علينا هذه

الشبهات لا في الدين ولا في خصوص القرآن ، وانما يلزما الاستدلال على جواز النسخ عقلا ويحسن منا إذا بنا حسنه وحكمته في المورد المعين ومن قصر عن إدراك ذلك فلا يضره ذلك ولا يضر الدين أيضا — لأن جهنا بالشيء لا يستلزم عدمه في الواقع — وانما يضر او كان بعض ما علمنا انه من الدين مخالفا للحقيقة في نفس الأمر وليس في الاسلام شيء من ذلك — فضلا عن الإيرادات والشبهات الواردة على دين أو مذهب مؤلف من هذه التأويلات المنفردات لمن يريد استحاله التي لو أردنا إيرادها لطلال بها الكلام فان مدلول النسخ الذي يمكن ان ينكر وقوعه المنازعون أو يورد الشبهات عليه الزائفون والتأويل الذي يؤقل القرآن اليه حضرة الفاضل الدكتور متحد لا فرق بينهما الا أن هنا الاخير يكون من الرب الذي يفعل ويأمر بالحكمة والعدل فليتأمل الناظرون وينصفا اخونا الدكتور الفاضل — ثم ليدلنا على مورد شبهات غير المسلمين الصحيح — أهو على من يقول بوقوع النسخ في القرآن للمصلحة الراجحة والحكمة المادلة أم على من يعترف بصحة شبهاتهم ثم يعدل الى التأويل المذموم الذي لم يأذن الله به ولا دل عليه نبيه صلى الله عليه وسلم

وليعلم القراء الكرام ان ما اعترض به علينا في نسخ الاحكام غير المسلمين هو وان كان فاسدا كما سيأتي إلا انه وارد عليه أيضا لانه قائل بوقوع ذلك في السنة بل السنة القولية منسوخة عنده كما صرح بذلك مرات وناسخ ذلك احتمال تقدير سبب من جملة احتمالات لحديث أبي سعيد (رض) المختلف في رفعه ووقته المعارض بما هو أصح وأصرح منه ومتأخر عنه كل ذلك مع ترك العلة والسبب المنصوص في ذلك كما سيأتي بيان ذلك في الكلام على وجوب العمل بالسنن القولية النبوية فانتظروه —

فاذا عرفت ذلك لم يبق مما ذكر من شبهات غير المسلمين ما ينحصنا الجواب عنه دونه إلا ما يورد على نسخ اللفظ فقط

(الوجه الثاني) ان مثل هذه الشبهات فاسدة في نفسها لا يصح ان يوردها الا من كان لا يجوز النسخ في الشرائع مطلقا أي ولا يجوز نسخ شريعة نبي متأخر

لشريعة نبي متقدم عنه مطلقا حتى ولا من بعض الوجوه في حكم من الاحكام لان من يجوز ذلك في شيء مخصوص لزمه تجويزه فيما سواه اذا وجدت العلة أو نظيرها وبالأولى فيما هي به أولى . فاذا جاز نسخ شريعة نبي لشريعة نبي قبله فمن باب أولى جواز نسخ بعض شريعة لبعضها الآخر . لأن نسخ دين النبي المتقدم وشريعته الثابتة المقررة عند أمته وأتباعه أشق وأبعد من كل بعيد عن معتقداتهم الموروثة لاسيما اذا كان قد تدين بها أنبياء كثيرون لان ما جاء به العدد الكثير قد تستبعد بعض العقول نسخه بما جاء به الواحد . فما يسلمه الدكتور الفاضل من النسخ هو أولى بايراد الشبهات مما ينكره . ولما كان نسخ بعض الشريعة لبعضها الآخر يكون منوطا بمناسبة الاحكام لافراد معتققيها المعينين . كان كلما كثروا تنجدد الاحكام وتعديل على الحد الوسط المشترك بين أكثر مجموع الأمة ليكون الدين شريعة عامة فلهذا ونحوه كان النسخ في الشريعة الواحدة لظفا حسنا وعليه فالنسخ في شريعة أي نبي من الانبياء حين حياته أبعد عن اعتراض المعترضين عليه منه فيها بعد ثبوتها فثبت ان حكم نسخ شريعة لشريعة أو بعضها لبعضها ميان مطلقا ان لم تقل جواز ذلك في الاخير أظهر والله أعلم

ثم نقول لمن لا يجوز النسخ مطلقا انا لا نسلم ان النسخ لا يكون الا لنقص أو عيب في المنسوخ بحيث يستلزم نقص الشارع ومعاذ الله من ذلك لانا نقول ان النسخ في الأديان لازم ومساوق لتلقي نوع الانسان فلنا ترق ديني وترق طبيعي ولا يكون الا للحكمة ومصاحبة راجحة ، فالحكم الثاني المنسوخ يوجد عند ما تكون الأمة مستعدة له وتخطو إلى التقدم من المقام الاول الذي يحسن ان تنتهي مدة الحكم المنسوخ بجوازها له . لان ما يناسب البشر في أول نشأتهم قد لا يناسبهم بل قد يجب ان لا يكفوه في أوان كالمهم وما كانت الأمم السالفة محجورة عنه لمصلحة سد الذريعة قد يجب في هذه الأزمان رفع حجرهم عنه إذ لو كلف الجهال ونحوهم ما يتسع له العلماء لازم وضع الشيء في غير موضعه المناسب له وهذا من لازمه قلب الحقائق ولو حجب على العقلاء البحث في الحقائق المستعدين لادراكها

وتهدبرها قدرها لكان في ذلك الظلم المنزه ربنا عنه ولو كلف الضعيف عقلا أو جسما لا يطيقه هو أو ما لا يطيقه إلا من هو أكل منه لكان كذلك وإذا استحال كل ذلك فلا شك ان حالات الام السالفة واستعداداتهم يخالف حالات الام واستعداداتهم اليوم فتكليف نبي الانساف اليوم بشرائع أولئك أو العكس اقل حالاته ان يكون تكليفا بما لا يناسب الفشوء الفطري والترقي التعليمي وحينئذ لو كان ذلك تكون احكام الدين من باب تكليف ما لا يطلق أو من باب الحجر على المستعد عما هو مستعد له فيكون الدين سدا دون العلوم والمعارف . ولو أطلق للاولين الحرية واذن لهم بولوج ابواب هي مجهولة لديهم او لم يستعدوا لمعرفتها لكان ذكر تفريرهم وتكليفهم لئلا يهلقونه وما كان كذلك فالله لا يرضى بقاءه بل لا بد من تغيير وتبديل فيه مساوقين لترقي معارف البشر وهذا هو حقيقة النسخ وما ذكرناه هو سببه وحكمته في الشرائع فالنسخ لا يكون لعيب وتقص في المنسوخ ولا لجهل الشارع تعالى عما يقول الظالمون بل يكون لاستعداد المكلفين لما هو خير لهم في الحال أو الاستقبال ونحو ذلك مما لا يخلو عن زيادة الخيرية التي ذكر الله انه لا بد منها في النسخ فالنسخ يكون قبل فحش التفاوت في مناسبة المنسوخ لحالة المكلفين كما ذكرنا ذلك في رسالتنا السابقة

فثبت بما ذكرناه وما لم نذكره من الحجج اليقينة أن النسخ في الشرائع لازم ومستحسن عقلا وكذلك هو واقع فعلا وثبت ذلك نقلا فان كثيرا من شرائع الانبياء قد نسخت واندثرت وأنيت بشرائع انبياء بعدهم وذلك ظاهر لانطيل بذكره وان أبي المعترضون لزمهم فوق ما قدمناه من المحالات ان تكون شرائع الله المحكمة المحتم على البشر قبولها وامثالها والايمان بها متضاربة متناقضة ، وذلك بأن يجب على الشخص الواحد المؤمن بحجيمها فعل الشيء الواحد وتركه في آن واحد وهو محال من الله وعلى الصباد

والاديان والشرائع قبيل الاسلام وقع فيها كثير من الخلط والقلب - أما التكليف والصعوبات الشاقة والكلمات الموهمة خلاف الواقع والحكميات المستبعدة في كتبهم الدينية فيما أوجب على العقلاء منهم ومن غيرهم الجرم بان تلك الكتب

قد وقع فيها من التحريف والتبديل ما أوجب أن يحكم بعدم الوثوق بها وما كان كذلك فمن اللازم ان لا يبقى دينا للبشر الى آخر الدهر - ولذا ونحوه قال نينا صلى عليه وسلم « لا تصدقوهم ولا تكذبوهم » الحديث افليس من اللازم ان يبذل الله بهذه الشرائع شريعة عادلة محكمة محفوظة عن تغيير المبدلين وعبث الطائين ؟ ان تلك الكتب وشرائعها لا تصح وهي بالحالة التي عرفت حجة لله على عباده فالوسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة وأيده بالمعجزات الباهرات والآيات البينات فما من دليل يستدل به على رسالة رسول من الانبياء والرسل السابقين الا وقد ايد نينا (ص) بثله وبأظهر وأوضح منه وصح لدينا قسلا لا يترى شك باسناد صحيحة متواترة متصلة . ولو لا شهادة الله في كتابه القرآني وشهادة رسوله محمد (ص) في خطابه بصحة معجزات الرسل السابقين لم تبلغ تلك القول والقصاص فيها الى مرتبة القان فضلا عن اليقين لأنها لو وزنت بيزان التحقيق في شرائط النقل لم تحصل منها ما يصح اعتباره مسندا متصلا عن النقلة المروفين بشرائط الرواية

وبناء على ما ذكرناه نقول اذا كان وجود النسخ في تلك الشرائع غير قادح فيها لكونها قد ايدت بالمعجزات - فكذا وجود النسخ في الاسلام أو في القرآن لا يصح أن يكون قادحا في صحته عن الله تعالى لما عرفت . وايضا فمن يقدم بذلك في دين الاسلام ورسالة محمد (ص) يكون في الحقيقة قادحا في صحة دين من تقدمه من الانبياء عليهم السلام من حيث يعلم اولا يعلم رضي ام أبي

وقول في الجواب أيضا (الوجه الرابع) ما يدري هؤلاء المشككين ان النسخ الواقع في شريعة الاسلام أو في القرآن قد كان سببه تلك التهم التي أوردوها ؟ فهل عندهم نقل يؤيدها ويصححها أو دلالة عقل تعينت على ما ذكره أم هو احتمال فرضوه وأوهام توهموها أو ممارسة أو معاندة انتجتها الاحقاد الموروثة ؟ وهل هذا الاحتمال متعين فما الدليل عليه وهل يصح ان يقوم مقامه احتمال غيره ينقض مزعومكم أم لا ؟ وحينئذ لا يصح ان يدفع اثبات ويرد باحتمال من احتمالات هذا حالها . واذا كان النسخ في التشريع والاديان لازما عقلا وواقعا حتما يكون مستحسنا

كذلك تقلا وكانت رسالة نبينا (ص) ثابتة بالحجج اليقينية بأصح ما يمكن ان تثبت بها رسالة أي رسول — فتمين ذلك الاحتمال والوهم وحاله ما عرفت مع وجود ما يدفعه ويكذبه باطل لا يجوز لما قل ان يلتفت اليه أو يمتني بإيراده

أما قولهم ان محمدا (ص) قد بلغ من الدهاء أن صار يلعب بعقول اصحابه فيسلمهم يقبلون منه ما لا يقبل من غيره فالجواب عنه ان محمدا (ص) بأبي هو وأمي لم يكن من أهل الخيل والدها وما كان من الانبياء الاتقياء وقد عرف بالصدق والوفاء حتى صار ذلك وصفه الثابت حتى عند أعدائه أما أصحابه فقد عرفوا صدقه وصحة دينه بالدلائل الصحيحة الثابتة وهم لم يصدقوه فيما جاء من النسخ وغيره لضعف في عقولهم وهو ما جاء بما في دينه من النسخ بدعا مما جاء به المرسلون قبله واذا كان كذلك فمن البهت ان يقال ان اصحابه صاروا يصدقون ويقبلون منه ما لا يقبل من غيره لان نقول هو (ص) لم يأت الا بما يأتي به المرسلون ولم يقبل عنه أصحابه الا ما يقبل عن المرسلين والا لقلب الامر وكان النسخ في الشرائع محالا وقدمت فسادة عقلا وشرعا

فما ذكرناه يعرف الناظر فساد تلك الشبهة وانها في غير محلها وانها لا يتعين ورودها على شريعة دون غيرها من الشرائع — بل لو صح ايرادها على بعض الشرائع السابقة لكانت ما عرف من تلك الشرائع وعدم صلاحيتها لتدين جميع البشر الى آخر الابد والوهن في نقلها وضبطها — فان صحة توجيهاها على الاسلام ضرب من المحال وتقص عن الكمال لما في القرآن من الدلائل والبراهين على صحة كل احكامه وشرائعه وما كان فيه من منسوخ وناسخ موجود فقد ذكر سببه وحكمته بالصراحة تارة وبالتضمن والالتزام أخرى يعرف ذلك بطرق يعرفها من تلقى فهمه عن أنزل عليه (ص) فمنها ان يذكر الحكم الاول مقرونا بسببه أو بفائده وغايته أو غير ذلك مما يصح ان تدرك به علة هذا الحكم فاذا نسخته بأن انزل بعده حكما يناقضه بوجه من الوجوه فهو يذكر سببه أو غايته أو غير ذلك كذلك مما تعرف به الحكمة في النسخ وهذا بخلاف الشرائع السالفة فانها وان كان فيها أشياء من الاستدلال الصحيح الا انه لا يوجد في كل شيء ومع ذلك هو لم يبلغ بالاستدلال فيها الى المراتب الكاملة في التحقيق كما هي في القرآن ودين الاسلام ومع ذلك كله نحن لانحمل ذلك على

قص فيها كما يقول هؤلاء المعترضون وانما تقول إن تلك قد سبقت فيها الشرائع على طريقة تناسب عقول البشر واستعدادهم اذ ذلك وهي غير مؤيدة فناسب ان تكون كذلك حتى يترقى الانسان الى أعلا مقاماته مما تطوح به اليه خلقته وفطرته المحصورة وحينئذ يناسب ان يشرع له دين بالغ في التحقيق اقصى غاياته فكان الامر كذلك بدين محمد (ص) وشرعه

(لها بقية)

أنا رب السجدة

التربية والامهات

أنشدنا الشيخ معروف الرصافي شاعر العراق الاجتماعي لنفسه بيروت في المحرم

سنة ١٣٢٧

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| هي الاخلاق تبت كالنبات | إذا سقيت بماء المكرمات |
| تقوم إذا تعهدا الرببي | على ساق الفضيلة ثمرات |
| وتسمو للكارم بانساق | كما اتسقت أنابيب القناة |
| وتنعش من صميم المجدروحا | بازهار لها متضوعات |
| ولم أر للخلاق من محل | يهذبها كحوض الامهات |
| فحوض الأم مدرسة تسامت | بتربية البنين أو البنات |
| وأخلاق الوليد تقاس حسنا | بأخلاق النساء الوالدات |
| وليس ريب عالية المزايا | كئيل ريب سافلة الصفات |
| وليس البت يبت في جنان | كئيل البت يبت في القلاة |
| فيا صدر الفتاة رحبت صدرا | فأنت مقرأسي العاطفات |
| نراك إذا ضمت الطفل لوحا | يفوق جميع الواح الحياة |
| إذا استد الوليد عليك لاحت | تصاوير الحنان مصورات |